مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع JALHSS
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences – JALHSS
www.jalhss.com ISSN: 2414 – 3383
العدد (7) حزيران - يونيو 2016

التاريخ الاقتصادي للبحرين من خلال كتب الرحالة

أ.م.د. فواز زحلف جزاع
قسم التاريخ
كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة الانبار
الانبار - العراق

الخلاصة

أن التاريخ الاقتصادي للبحرين عند الرحالة هو في الحقيقة دراسة معمقة لجانبين مهمين/ هما الجانب التاريخي والجانب الاقتصادي. حيث يشكل هذا المحوران دورا مهما في حياة البحرين من حيث تسميتها ومن حيث نشاطاتها الاقتصادية التجارية والزراعية والصناعية. كان الرحالة الوافدين الى البحرين قد قدموا معلومات تاريخية وجغرافية عنها وفسروا تسميتها لغويا وتاريخي، كما قدم البلديون تفسيرات جغرافية ولغوية للبحرين ووصفوها وصفا جغرافيا دقيقا انطلاقا من المنهج الوصفي والتاريخي للبلدان.

The Economic History of Bahrain According to Travellers Books

Assist. Prof. Dr. Fawaz Zehlif Jazza'a
History Department
College of Education for Humanities
Al-Anbar University
Al-Anbar - Iraq

ABSTRACT

The economic history of Bahrain according to travellers, is a profound study for two important sides: The historical side and the economy side. These two axis form an important role in the people life in Bahrain in view of their naming and their economic, commercial agricultural and industrial activity. Travellers who visited and saw Bahrain and they become familiars with it, presents their impressions for Bahrain location and naming from a vision of geographic linguistic and historical. This paper contains a several axis, the first is the historical and geographical impressions by studying the history of Bahrain, while the name axis tackles the economic impressions of the travellers and it includes Bahrain in Ahi khadathiba, Bahrain in the Howgal, Bahrain in the visio of Al-Masaudi, Bahrain in the Vision of Al-Tadressy, Al-Bahri, Al-Bakri and Bahrain in Nasser Khasro.

المقدمة

أن التاريخ الاقتصادي للبحرين عند الرحالة هو في الحقيقة دراسة معمقة للجانبين مهمين هما الجانب التاريخي والجانب الاقتصادي حيث يشكل هذا المحوران دورا مهما في حياة البحرين من حيث تسميتها ومن حيث نشاطاتها الاقتصادية التجارية والزراعية والصناعية.

أولا: الانطباعات التاريخية والجغرافية

كان الرحالة قد قدموا إلى البحرين معلومات تاريخية وجغرافية عنها وفسروا تسميتها لغويا وتاريخيا (حيث أن إدارة الانطباعات في أحد معانيها، هي فن اختصار تأثير الزمن في عدة انطباعات (1) .

تاريخ البحرين ، إطلالة على الموقع من خلال كتابات الرحالة

تختلط بلاد البحرين عند الجغرافيين العرب ببلاد هجر وإقليم الإحساء وإذا كان ابن رسته يفرق بين كل من اليمامة والبحرين وهجر على إن كلا منها مدينة قائمة بذاتها (2) فان ابن الفقيه يقرر إن هجر هي مدينة البحرين بمعنى أن البحرين هو القطر وان العاصمة هي مدينة هجر (3) وهو الآمر الذي يمكن أن يفسر ما حدث من اللبس بين كل من البحرين وهجر حيث أن من المعتاد أن يعرف الإقليم باسم عاصمته ، لم يكن من الغريب أن تعرف بلادا لبحرين باسم هجر أيضا. وهكذا عرف اسم هجر عند الجغرافيين بأنه يشمل جميع البحرين :مثله مثل الشام والعراق وانه ليس اسم مدينة بعينها (4) .

وحدودا لبحرين متصلة من جهة الغرب باليمامة (5) ورغم اتصال حدود اليمامة الغربية بأرض مكة والمدينة فأنها تعتبر من بلاد نجد كما هو الحال بالنسبة لبادية البصرة الممتدة حتى سواحل البحر والبحرين (6) والمسافة بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة ايام ويفهم من رواية ابن الفقيه إن قرى البحرين التي تمتد على طول هذا الطريق هي الحط ، والقطيف ، والارة ، وهجر ،والزارة ، وجواثا ،والغابة (7) ولما كانت هجر تقع على ساحل البحر ،كما هو معروف (8) فكان هذا الطريق يبدأ من بداية حدود الاقليم الساحلية شمالا ،وذلك ان موقع هجر يعتبر رابع محطة على طول الطريق .

مما يرجح إن اسم البحرين هنا منسوب إلى الإقليم وليس العاصمة .

إما قرية بادية البحرين ، عند ابن الفقيه ،فهي الحوس ،والكثيب الأكبر ،والكثيب الأصغر ، وارض نوح ، وذو النار .والمالحة والزرائب والبدي ، والخرصان ،والسهلة ، والحوجر ، والوجير ، والطربال ، والمنسلخ ، والعرجة ، وهذه القرى كانت لبني محارب بن عمر بن وديعة ،دون قرى قبائل انمار بن وديعة ،بني عمومتهم ،

---

(1) جورج طرابيشي،معجم الفلاسفة، بيروت ،1977

(2) ابن رسته ، أبي علي احمد بن عمر (ت290هـ،902م)الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، ليدن ،1891م ص96.

(3) ابن الفقيه ، ابي بكر احمد بن محمد الهمذاني (ت 365هـ ،975م) مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل ، ليدن 1885، ص30.

(4) سعد زغلول عبدا لحميد البحرين وقطر الأصول القديمة للمسميات الحديثة في المكتبة الجغرافية العربية ، ندوة لجنة تدوين قطر ، 1976 ،ص43

(5) أبو الفداء أبو الفداء ،عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت732هـ ،1331م) تقويم البلدان ،اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان ،مطبعة دار الطباعة السلطاني (باريس ،1840م) ص99، ،شيخ الربوة ،شمس الدين أبي عبدالله بن أبي طالب الدمشقي(ت،727هـ ،1326م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ،بطرسبوغ ،1865م ، ص22 ، ابن حوقل ، ابي القاسم النصيبي (ت،367هـ،977م) صورة الأرض ، ليدن 1938 ، ص29.

(6) ابن حوقل ،صورة الأرض ، ص29.

(7) نفس المصدر السابق،ص29.

(8) الاصطخري ، أبي اسحق إبراهيم بن محمد (ت346هـ ،957م)مسالك الممالك،مطبعة كتبخانه (صور ،بلا ،تاريخ) ، ص76.

الذين كانوا ينتسبون إلى عامر ابن الحارث بن انمار ،وهي إضعاف القرى السابقة ،كما ينص على ذلك ابن الفقيه بكثير من المبالغة ، على ما يبدو، ذلك انه لا يذكر منها شيئا ([1]) .

ثانيا : التسميات ما بين البحرين والاحساء

ودون الدخول في الأصول اللغوية لمعاني تلك أسماء تلك القرى يمكن تصنيف بعضها على وجه السرعة ،كالاتي :

الكثيب والرميلة والرجراجة : مما يعني بلاد الرمل ،ومنه المتحرك .

ارض نوح والطربال ([2]) طربال البحرين ربما كان أشبه بمنارة يشرف منها على ساحل البحرين والشط والبحرة :مما يعني بلاد السواحل ويرمز إلى صنعة ركوب البحر .

الحوس والمالحة :مما يرمز إلى ارض الماء :عذبا ورشا .

ذو النار :مما يدل على وجود النفط ومشتقاته من المحروقات في تلك الناحية .

والذي يهمنا من كل ذ لك هي معاني السواحل والشطوط البحرية إلى جانب المياه الجوفية من عذبة ومالحة .وهنا نبدأ بالإشارة إلى إن الإحساء القريبة شكلا من الحوس ،معدودة من أمصار البحرين إي من مدنه الهامة التي تأتي بعد هجر وقبل القطيف او بعدها ([3]) .

والإحساء :جمع ((حسا))، وهو : رمل يغوص فيه الماء حتى إذا صار إلى صلدة الأرض أمسكته ووفرة الماء غير بعيد من سطح الأرض في المنطقة هو الذي يفسر غناها في النخيل وكثرة التمر ، سواء في الإحساء او القطيف وهجر ([4]) حتى قيل أن اسم القطيف مشتق من قطف التمر([5]) كما ضرب المثل بهجر في كثرة تمرها ، فقيل في السلعة التي تحمل إلى البلد الذي لا تنفق فيه ((كمن حمل التمر إلى هجر)) ([6]) وعن طريق كثرة مياه الإحساء حاول الكتاب تفسير تسمية البلاد ب ((البحرين)).

هكذا بدا البكري في كتابه الموسوم ((معجم ما استعجم)) كلامه في الموضوع لغويا ،فقال (البحران ثنية بحر ، وهو بلد مشهور بين البصرة وعمان) ([7]) .

فكأنه ينص على أن صحة الاسم فعلا هو البحران وهذا ما اخذ به احد متقدمي المؤرخين هو خليفة بن خياط توفي 240هـ - 854م) ([8]).

ولكن البكري لا يشير إلى الظر وف التي آدت إلى تحريفه في شكل البحرين المتعارف عليه عند سابقيه من الكتاب .

وهو في نفس الوقت يذكر موضعين آخرين في جزيرة العرب يعرف كل منها ب(البحران) ، او لهما :معدن بالحجاز، والأخر موضع غزوة حدثت على أواخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ([9]).

وعندما تكلم البكري بعد ذلك عن هجر ويذكر أنها مدينة في البحرين ،يفسر الاسم على انه أما إن يكون فارسي الأصل معربا من ((هكر)) او إن يكون عربيا قديما نسبة إلى ((هجر بنت مكنف من العماليق)) وذلك جريا على التقاليد المعروفة على التقليد المعروف عند أكثر الكتاب المسلمين عندما ينسبون أسماء البلدان والقبائل إلى

([1]) ابن حوقل ، ص33 الدمشقي ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص220.

([2])أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص99.

([3]) ابن حوقل ،صورة الأرض ، ص35 ، الاصطخري ، مسالك الممالك، ص63.

([4]) ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، تاريخ المستبصر ، تحقيق اوسكر لوفثيرين ، بيروت ، 1986,ص52 .

([5]) البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (487هـ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، 1945 ، ج 1 ،ص140

([6]) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ألعمري ،ج1 ،ص299حيث يجعل الاسم بحران عندما يجعله مبتدأ لكلامه لكلامه عن الولاة والقضاة الذين كانوا على الأمصار اثر وفاة كل خليفة

(6) البكري ،معجم ما استعجم ،ج1 ،ص141.

(7) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ألعمري ،ج1 ،ص299حيث يجعل الاسم بحران عندما يجعله مبتدأ لكلامه عن الولاة والقضاة الذين كانوا على الأمصار اثر وفاة كل خليفة .

(8) البكري ،معجم ما استعجم ،ج1 ،ص141.

الأجداد الأسطوريين ([1]). وفي كلام البكري عن القطيف يفسر التسمية على أنها ((على بناء فعيل عن قطف التمر)) ثم ينص على أنها إحدى مدن البحرين ، والأخرى هجر ([2]) فكأنه يجعل للبحرين عاصمتين ، هما هجر والقطيف. وهذا ما يظهر في روايات فتوح للبحرين الأولى ([3]) وهو الأمر الذي يسترعي الانتباه هذا لما كانت كانت كل واحدة من المدينتين تقع على شط البحر ([4]).

فلا باس في إن يكون كل من ساحليهما قد عرف بالبحراي (بحر هجر) التي حرفت وبحر القطيف .

وعندئذ يمكن أن نفهم كيف أتت صيغة المثنى بحران التي تحرفت إلى البحرين : نتيجة طبيعية لصرفها الذي أصبح دارجا . وهذه فكرة ثانية نضيفها إلى الفكرة الأولى التي اشرنا إليها ا نفا ، والتي قلنا فيها انه ربما كان المقصود بالبحرين هو الخليج الذي ينقسم إلى بحرين هما بحر البصرة وبحر فارس وكل ذلك في نطاق التاريخ الإسلامي او قبيلة بقليل .

إما ياقوت ،وهو الأديب قبل إن يكون جغرافيا ،فانه يهتم بالمسالة اللغوية على وجوهها المختلفة ، إذ يقول : ((البحرين هكذا يتلفظ بها ، حال الرفع والنصب والجر)) ومع انه ينص على انه قد حكي عن الزمخشري إن اسم البحرين ((بلفظ الثنية ، فيقولون هذه البحران ، وانتهينا إلى((البحرين))، فهو يؤكد انه لم يسمع على لفظ مرفوع من احد منهم ، وانه لم يبلغه حكاية أخرى غير حكاية الزمخشري ([5]) والظاهر إن الزمخشري وغيره من اللغويين اسندوا في مقالتهم بإمكان القول : ((هذه البحران)) استنادا إلى النسبة إلى البحرين)) إذ يقال (بحراني) ، ولا يقال بحري : خشية إن تشتبه النسبة إلى البحر _ كما ينص ذلك ياقوت نفسه ([6]). وهنا يظهر ياقوت صاحب منهج عملي يغلب الواقع المجرب على النظرية المجردة .

ويتأكد منهج ياقوت العملي هذا ،والذي يمكن إن يوصف بأنه تجريبي عندما يعرض لتفسير اسم البحرين عند النظريين من اللغويين . فهو يعرض مقالة ابي محمد بن القاسم في اشتقاق ((لبحرين))، وفيها وجهان إن يكون اللفظ مأخوذا من قول العرب : ((بحرت الناقة إذا شققت أذنها ، والبحيرة (المشقوقة الاذن))، وهي ابنة السائبة إي الناقة التي كانت تلد عشرة أبطن كلهن إناث ، فتسيب إي تترك : ((فلم تركب ولم يجز لها وبر ، وبحرت إذن ابنتها إي خرقت (فهي البحيرة) ، وذلك حسب التقاليد العربية القديمة . إن يكون ((البحرين)) من قول العرب (قد بحر البعير بحرا إذا اولع بالماء ، فأصابه منه الداء (البحران) كما يقال (قد ابحرت الروضة أبحارا اذ كثر انقاع الماء فيها فانبت النبات ، ويقال للروضة البحرة)) . وأشبه بذلك ما (يقال للدم الذي ليست فيه صفرة :دم باحري وبحراني (بمعنى مائي). ورغم إننا لا نعترض على رفض ياقوت لهذه الآراء التي يرميها بالتعسف ([7]) فإننا نرى أنها أراء رمزية لها دلالاتها ، على كل حال . فالمعنى الأول الخاص بالناقة المشقوقة الإذن يعني إن البلاد غنية بثروتهافي الإبل . وعن هذا الطريق فسر اسم ((هجر)) على انه يمكن ان يكون من هجرات البعير اهجره هجرا إذا ربطت حبلها في ذراعه إلى حقوه وقصرته لئلا يقدر على العدو فشبه الداخل إلى هذا الوضع بالبعير الذي فعل به ، ثم غلب على اسم الموضع ([8]).

---

(1) البكري ،معجم ما استعجم ،ج1 ،ص141.
(2) البكري ،معجم ما استعجم ،ج1 ،ص141.
(3) نفس المصدر ،ج2 ، ص827 عن قطيف ، يضيف إلى اهتمامه اللغوي هذا : إن الفرزدق ذكر اسم هجر ولم يصرفه ، إذ قال : منهن أيام صدق قد عرفت بها ايام واسط والأيام من هجر.
(4) نفس المصدر السابق ،ج2 ، ص741.
(5) البلاذري ، فتوح البلدان ، ط، القاهرة ، 1901 ، ص88- 89
(6) أبو الفدا ، تقويم البلدان ،ص99حيث الإشارة إلى أن البحرين وهي بلاد هجر على شط بحر فارس ،وكذلك القطيف في شمال شرقي الإحساء ولها مغاص .وقارن المشقي ،نخبة الدهر ، ص220حيث يقول أن القطيف يحيط بها ساحل البحر ، وان ساحل هذا البحر يسمى الخط ، واليه تنسب الرماح الخطية ، لكنه لا ينبت فيه لأنه مكان التجار بالبضائع هذا ،كما يفهم من رواية الدمشقي أيضا ساحل البحرين كان يسمى القوس.
(6) ياقوت الحموي ،شهاب الدين أبي عبدالله البغدادي (ت 626هـ ،1228م)معجم البلدان ،مطبعة دار صادر (بيروت ،1975م ج1، ص506.
(7) المصدر نفسه ،ج1 ، ص508.
(8) لحموي ،معجم البلدان ، ج1 ، ص507.

وإما المعنى الثاني :الخاص بالشنع وإنبات النبات ، فهو يعبر عن كثرة مياه المنطقة ووفرة زروعها وخاصة من النخيل والتمر ، الأمر الذي يعبر عنه اسم الإحساء ،كما رأينا .والذي نحب إن نلفت إليه النظر في هذين المعنيين : أنهما يرمزان إلى دواخل (البحرين) وبواديها حيث الماء العذب والإبل والزرع .

ويتبع ياقوت رفضه للتفسيرين بقوله إن الصحيح عنده هو ما ذكره ابومنصورالازهري من اسم البحرين نسبة إلى بحيرة في بعض قراها على باب الإحساء ،على بعد حوالي عشرة فراسخ من البحر (1) البحيرة قيل إن طولها يعادل عرضها وهو ثلاثة أميال بمعنى إن مساحتها حوالي تسعة أميال ، وأنها كانت بحيرة دائمة لا يغيض ماؤها ،وهذا ما يفسر كيف انه ((راكد زعاق)) (2).

وهكذا كان ياقوت أكثر واقعية من اللغويين عندما جعل اشتقاق لفظ ((البحرين)) من بحيرة الإحساء المالحة ، إي من الواقع الجغرافي للمنطقة .

ولكن يؤخذ على التفسير انه منسوب إلى المفرد وليس إلى المثنى ،كما يقضي المنهج العقلي ، وهو المنطق اللغوي .إذ لا يكفي القول إن النسبة إلى البحيرة او البحر صارت ((بحراني)) حتى لا تتشتبه بلفظة (بحري) كما سبقت الإشارة .

وهذا ما تنبه إليه الدمشقي (ت727 - 1326) في نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، فهو يعرف بحيرة الإحساء التي وصفها ياقوت ، ولكنه لا يجعل اسم البحرين إليها وحدها ، بل والى البحر أيضا ، وفي ذلك يقول (وبحيرة هجر في بلاد البحرين ، وبها وبالبحر الكبير سميت ارض هجر بالبحرين)) (3) .

وهو الأمر المقبول ، فكان بلاد البحرين أصلا هي الواقعة بين ساحل البحر وبين البحيرة في الداخل على بعد حوالي عشرة فراسخ كما يفهم من نص ياقوت .

ويتبع الدمشقي ذلك بتفسير أكثر منطقية ، إذ يقول ((وقيل بل سمي البحرين لان هناك دخلة من الأرض في البحر الكبير كالجزيرة ، وسمي ذلك الموضع البحرين - والله اعلم)) (4).

وأهمية هذا النص تكمن في إن شبه الجزيرة التي تدخل في البحر الكبير إي الخليج فتكاد تقسمه إلى بحرين تتفق ألان وشبه جزيرة قطر التي يقع في جنوبها الشمالي جزيرة البحرين الحالية وهي ((أوال)) القديمة . وبذلك يكون تحديد إقليم البحرين في نخبة الدهر للدمشقي اقرب للتحديدات القديمة بالنسبة للمسميات الحديثة .

ثانيا: الانطباعات الاقتصادية للرحالة عن البحرين

لقد قدم لنا الرحالة صورة اقتصادية عن البحرين والنشاطات الصناعية والزراعية والتجارية ، وكانوا يصفون البحرين ومنافذها التجارية والأجناس من التجار الذين يمارسون التجارة فيها.

1. البحرين عند ابن خرداذبة

يصف ابن خرداذبة الطريق البحري إلى مدينة البحرين فيقول من البصرة عبادات اثنا عشر فرسخا ثم إلى الخشبات فرسخان ومن الخشبات إلى مدينة البحرين في شط العرب سبعون فرسخا ثم إلى عمان خمسون فرسخا ثم إلى الشحر مائتا فرسخ ومن الشحر إلى عدن مائة فرسخ ([5]) ،ونلاحظ إن استعمال الفراسخ لقياس المسافات عند تحديد الموقع الجغرافي للبحرين عنده . إما قرى البحرين فهي تشمل الخط والقطيف والارة ([6]) ، وقد قدم لنا وصفا جميلا لسكان البحرين فهو يقول ان من يسكن البحرين يعظم طحاله ويستشهد على ذلك في قوله :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ويحسد بما في بطنه وهو جائع

(1) المصدر نفسه ، ج1 ، ص507 .
(2) المصدر نفسه ،ج1 ، ص508.
(3) الدمشقي ،نخبة الدهر ، ص121
(4) المصدر نفسه ، ص121
(5) ابن خرداذبة ، أبي القاسم عبدالله بن عبدالله (ت 300هـ،912م) ، المسالك والممالك ، (ليدن1889)، ص60.
(6) المصدر نفسه ، ص60.

ويذكر أن الشجر هي بلاد الكندر وهو على ما يبدو من الأشجار الصمغية التي تدر اللبان ([1]) ويروي أيضا بيتا من الشعر : اذهب إلى الشجر ودع عمانا الا تجد تمرا تجد لبنا ([2])
لقد كانت البحرين منطقة غنية ومما يدل على ثراء المنطقة ماكان يرتفع فيها من أموال ، فارتفاع البحرين مع اليمامة لسنة 237هـ/851م كان من العين خمسمائة ألفا وعشرة ألاف دينار ([3]) .
وقد حدثنا ابن خرداذبة في التاريخ الاقتصادي لمنطقة البحرين عن التجار الراذانية وهم جماعة من التجار يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والاندلسية والصقلية وإنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا ،يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ثم يمضون بحرا إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك ..... وان شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة من البحر الغربي والبحر المتوسط فيخرجون بإنطاكية ويسيرون على الأرض ثلث مراحل إلى الجابية ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ثم يركبون من دجلة إلى الابلة إلى عمان والسند والهند والصين ... كل ذلك متصل بعضه ببعض([4]) .

2. البحرين عند ابن حوقل

لقد وصف البحرين وطريقه بشكل حيث قال ، وكذلك مابين عمان والبحرين فطريق يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم ، وإما بين البحرين وعبادان فغير مسلوك إلى هذه الغاية وقد سلك وهو قفر والطريق منها على البحرين . ومن البصرة إلى البحرين إلى الجادة أحدى عشرة مرحلة . واستشهد ابن حوقل بان سليمان ابن الحسن أتى على هذا الطريق متزودا الماء من البحرين إلى البصرة ولإماء فيه ، ويضيف ابن حوقل أن الطريق على الساحل نحو ثمان عشر مرحلة من قبائل العرب ومياههم وهو طريق عامر ألا انه مخوف ([5]).
تحدث ابن حوقل عن البحرين فقال ((وأما البحرين ومدنها وهي هجر والإحساء والقطيف وبيشة والخرج وأوال وهي الجزيرة التي كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم ، والى وقتنا هذا هي لمخالفيهما ونسلهما ..... وبها أموال وعشور ووجوه ومرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف إلى ما يصل إليهم من بارية البصرة والكوفة وطريق مكة ، وبعد أقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل ([6]). وفي ضوء حديث ابن حوقل حوقل نجد تصويرا رائعا ودقة علمية في تجديد الثورة الاقتصادية لمنطقة البحرين الزراعية.

3. البحرين عند المقدسي

يصف البحرين واهم مدنها هجر فيقول عن هجر أن قصبتها الإحساء ومدنها سابور والزرقاء وأوال والعقير([7])
وقد وصف المقدسي الإحساء فقال عنها أنها (قصبة هجر وتسمى البحرين كبيرة وكثيرة النخيل عامرة أهلة معدن الحر ، والقحط على مرحلة من البحر ([8]) .
ثم ينتقل المقدسي ويصف اللؤلؤ ويقول اللؤلؤ في هذا الإقليم (أي ديار العرب) بحدود هجر يغاص عليه من البحر بإزاء أوال وجزيرة خارك([9]).

---

(1) المصدر نفسه ، ص171.
(2) المصدر نفسه ، ص147-148 .
(3) قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت،328هـ،939م)،كتاب الخراج وصناعة الكتابة (ليدن ، 1889م) ص249 - 251.
(4) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص153 - 154.
(5) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص47.
(6) المصدر نفسه ، ص33 .
(7) المقدسي ، محمد بن احمد المعروف بالبشاري (ت375هـ،985م)أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (ليدن ، 1906) ،ص94.
(8) المصدر نفسه ، ص94.
(9) المصدر نفسه ، ص101.

ويحمل المقدسي أمر التجارات في ديارات العرب ويصف التجارات في هذه الديار ويعددهم السمسم والعاج واللؤلؤ والديباج والأبنوس والنار جيل والقند والاسكندروس والخيزران والصندل والبلوروالفلفل وغير ذلك ([1]).
).

4. البحرين عند المسعودي

أن المسعودي كان من ابرز المؤرخين والرحالة العرب ، رحالة كثير السفر والتنقل وقد زودنا بمعلومات وافية عن الخليج العربي والبلاد الواقعة حولها والمدن الهامة في هذه البلاد .

لقد وصف المسعودي بحر الهند (وهو البحر الذي نسميه اليوم المحيط الهندي) وذكر الخلجان والبحار المتفرعة منه وهي الخلجان المرتبطة بمدن أخرى.

وقال المسعودي أن أهل القوم الذين يركبون البحر الهند اغلبهم عرب الازد ويقطع هذا البحر السيرافيون ولخليج الأخر الذي يتفرع من بحر الهند هو البحر الذي تقع ساحل الجزيرة العربية غربه ، حيث يقع على الساحل العربي بلاد البحرين وفي هذا البحر مغاص اللؤلؤفي خارك وأوال ([2]).

ويضيف المسعودي أن هذا البحر يركب في سائر السنة من عمان إلى سيراف وهو مائة وستون فرسخا ومن سيراف إلى البصرة ، وهو مائة وأربعون فرسخا (3).

5. البحرين عند الإدريسي

أن الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، يصف لنا الطريق إلى البحرين ويقول من مدينة صحار إلى مدينة بلاد البحرين نحو من عشرين مرحلة ([4])وطريق عمان من البرية إلى مكة وغيرها صعبة جدا لكثرة القفار وقلة السكان وإنما يسافرون في المراكب على البر إلى مدينة عدن يسافرون أن شأوا برا أو بحرا وكذلك من صحار التي من ارض عمان إلى البحرين من جهة الشمال طريق متعذرة السلوك لتنازع العرب بها ومحاربتهم بعضهم على البعض فليس المسافر معهم أمان في نفسه ولا في شيء من ماله ([5]).

يصف الإدريسي شط البحر وخاصة شطه الأيمن الذي يصف العرب فيه فيقول أن عرضه مائتان ميل وعشرة أميال وعمقه من سبعين باعا " وفي الخشبات إلى (هجر) مدينة البحرين في شط العرب مائتا ميل وعشرة أميال ومن البصرة إلى المدينة نحو من عشرين مرحلة ويلتقي الطريق مع طريق الكوفة بقرب معدن النقرة ومن البحرين إلى المدينة نحو من خمس عشرة مرحلة ([6]).

ويصف الإدريسي الطريق من البصرة إلى البحرين فيقول إنها تتجاوز ا عدة مراحل لإماء فيها ولا عامر بها ثم الحدوثة مرحلة ثم إلى عر فجاء مرحلة إلى ثم إلى حنيان مرحلة ثم إلى القرى مرحلة ثم إلى الإحساء مرحلة ثم إلى حمص مرحلة ثم إلى ساحل هجر مرحلة وهذه المراحل كلها حراس ومواضع لإماء فيها وعامرها قوم من العرب رحلة لا يستقرون في مكان واحد ([7]).

فأما الإحساء فهي مدينة حسنة لكنها صغيرة وبها أسواق تقوم بها أسواق تقوم بها في تصرفها ، مرحلتان ومن القطيف إلى حمص يومان([8]).

---

(1) المصدر نفسه ، ص97.
(2) المسعودي ،ابي الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ،957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ج1 (القاهرة ، 1964) ص107
(3) المصدر نفسه ، ص47
(4) المرحلة : وهي مسيرة نهار لسير الإبل المحملة ، والمرحلة = 2بريد = 8 فراسخ = 24 ميل = 44352متر،ينظر محمد رارس قلعجي ،وحامد صادق ،معجم لغة الفقهاء ،طبعة دار النفائس (بيروت ،1988)،ص451
(5) الإدريسي ،ابي عبدالله بن ادريس (ت 560هـ،1164م) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، (ليدن ، 1871)ص 154 - 159
(6) المصدر نفسه ،ص385 - 392
(7) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،ص385- 392
(8) المصدر نفسه ، ص385 - 393

ويصف الإدريسي مدن البحرين ويشير إلى هجر وحمص والقطيف والإحساء وبيشة والزارة والحظ التي تنسب إليها الرماح الخطية وسميت البحرين بجزيرة أوال وذلك أن جزيرة أوال بينها وبين بر العرب مجرى وهي ستة أميال عرضا ومنها إلى البصرة خمسمائة ميل وأربعون ميلا وجزيرة أوال إلى جزيرة خارك مائتان وأربعون ميلا ([1]) وجزيرة خارك ثلاثة أميال في ثلاثة أميال وبها زروع وأرز كثير وكروم ونخل وهي جزيرة حسنة كثيرة الإعشاب خصيبة ([2]).

وجزيرة أوال جزيرة حسنة بها مدينة كبيرة تسمى البحرين وهي عامرة حسنة خصيبة كثيرة الزر وع والنخل وفيها عيون ماء كثيرة ومياها عذبة . ثم يعدد الإدريسي هذه العيون ومنها عيون بو زيدان ومنها عين مريلغة ومنها عين غذار وكلها في وسط البلد وفي هذه العيون مياه كثيرة مترعة دفاعة تطحن عليها الارحاء فالعين المسماة عين غذار فيها عجب لمبصرها ذلك أنها عين كبيرة قدرا كاستدارة الفم في عرض ستين شبرا والماء يخرج منها وعمقها يشف على خمسين قامة ([3]).

6. البحرين عند البكري

أهم الصناعات الأخرى التي اشتهرت بها البحرين هي صناعة الأسلحة ومنها الرماح حيث تصقل في البحرين بعد جلبها من الهند ثم تباع في بقية أنحاء الجزيرة ([4]) وقد أشار القز ويني إلى إن هذه الرماح (الرماح الخطية) هي من أحسن أنواع الرماح خفة وصلابة وتثقيفا ([5]) .

ومن الصناعات الأخرى التي اشتهرت بها البحرين صناعة السفن وقد أشارت المصادر الجغرافية إلى أن مركز هذه الصناعة كان في قرية نوع من السفن أطلق عليه السفن العد ولية ([6]) وقد اشتهرت البحرين شهرة واسعة بصناعة النبيذ.

وعلى ما ذكره البكري_فان قطر كانت اشهر من البحرين أنتاجا للخمور([7]) ، كما اشتهرت مدينة هجر بالبحرين بالبحرين بإنتاج الخمور أيضا ، إذ يشير ألعمري إلى أن في هجر حانة مشهورة عرفت بحانة ريمان ([8]) ويبدو إن إن كثرة إنتاج التمور في البحرين كان سببا في دفع أهلها للاستفادة من هذه التمور التي تفيض عن حاجة الاستهلاك المحلي في صناعة النبيذ إما عمان فقد كانت مركز ا لصناعة النسيج ، وتعد مدينة صحارى وهي قصبة عمان من أهم مراكز صناعة النسيج ومما يؤكد اشتهار عمان في صناعة النسيج هو إن المنسوجات العمانية كانت تنتج بكميات كبيرة تكفي للتصدير حيث أنها كانت تصدر إلى الحجاز والأقاليم الأخرى ، ولعل فيما ورد عن ابن سعد البلاذري لدليل على ذلك حيث كان للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم له برد من اليمن ومازر من نسيج عمان طوله أربع اذرع وشبر في ذراعين فكان يلبسوهما في الجمعة ويوم العيد ثم يطويان ، ويروى أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أعطى فروة بن مسبك المرادي ، حلة من نسيج عمان ومن الصناعات الأخرى التي اشتهرت بها الاحواز صناعة السكر أما البحرين فقد قامت بها صناعة النسيج التي أبدع فيها أهل الإحساء وهجر من أعمال البحرين ويؤكد ذلك الاصطخري بقوله : آن نسيج الدوشات التي يصنع في الإحساء وهجر يفوق في الجودة نضيره الذي يصنع في العراق ([9]) .

---

(1) المصدر نفسه ج3ص385 - 393.
(2) المصدر نفسه ، ج3ص385 - 393.
(3) المصدر نفسه ، ج3ص385 - 393.
(4) لهمداني شمس الدين أبو عبدا لله الانصاري (ت727هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد على الاكوع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، 1394هـ / 1974م ، ص331.
(5) القز ويني ، زكريا بن محمد (ت،682هـ ، 1283م)،أثار البلاد واخبار العباد ،مطبعة دار صادر ،(بيروت ،1960م) ، ص61.
(6) المنجم اسحق بن حسين (تفي القرن الخامس) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، طبعة اوفسيت ، بلا مكان ، وبلا تاريخ ، ص105.
(7) البكري ، معجم ماستعجم ، ج3 ، ص1082.
(8) ألعمري مسالك الإبصار ، ص388.
(9) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، ج2 ، ق1 طبع ادور د سخاو ، مطبعة بريل ، ليدن 1324 هـ ،ص56.

7. البحرين عند ناصر خسروا

في إثناء كلامه عن البحرين إن لسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه الغواصين منه ([1]) كما اثنى الرحالة ناصر ناصر خسروا على الفوط الجميلة التي كان يصنعها أهل الإحساء والتي كانوا يصدرونها إلى البصرة وغيرها ([2]).

8. البحرين عند ابن بطوطة

يصف ابن بطوطة البحرين وطريقه اليهامن البحرين إلى جدة ثم إلى اللاذقية ثم سافرنا من سيراف إلى مدينة البحرين وهي مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأشجار وأنهار وماؤها قريب المؤنة يحفر عليه بالأيدي فيوجد وبها حدائق النخل والرمان والأترج والليمون ويزرع بها القطن وهي شديدة الحر كثيرة الرمال وربما غلب الرمل على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع فلا يوصل من عمان إليها إلا في البحر وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمى أحدهما بكسير وهو في غربيها ويسمى الآخر بعوير وهو في شرقيها وبهما ضرب المثل فقيل كسير وعوير وكل غير خير ثم سافرنا إلى مدينة القطيف كأنه تصغير قطف وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير تسكنها طوائف العرب يظهرون الرفض جهارا لا يخافون أحد ويقول مؤذنهم في أذانه بعد الشهادتين أشهد أن عليا ولي الله ويزيد بعد الحياتين حي على خير العمل ويزيد بعد التكبيرة الأخير محمد وعلي خير البشر من خالفهما فقد كفر ثم سافرنا منها إلى مدينة هجر وتسمى الأن بالحسا وهي التي يضرب بها المثل فيقال كجالب التمر إلى هجر وبها من النخل ما ليس ببلد سواها ومنه يعلفون دوابهم وأهلها عرب وأكثرهم من قبيلة عبد القيس بن أفصى ([3]).

ويصف ابن بطوطة صيد اللؤلؤ البحرين وجزيرة أوال جزيرة حسنة بها مدينة كبيرة تسمى البحرين وهي مدينة عامرة حسنة وفيها رؤساء الغواصين في البحر ساكنوا بهذه المدينة والتجار يقصدونها من جميع الأقطار حيث فيها أمير قائم بنفسه قد رضيه أهل الساحلين لعدله ومتانة دينه ولايلي مكانه أذا مات ألا منة هو مثله في العدل والقيام بالحق .

أن التجار يقيمون في هذه المدينة الأشهر الكثيرة حيث يكون وقت الغوص فيكترون الغواصين بأسوام أجر معلومة تتفاضل على قدر تفاضل الغوص والأمانة وزمن الغوص في شهر اوغست وسبتمبر فإذا كان أوان ذلك وصفا الماء للغطاس وأكري كل واحد من التجار صاحبه من الغواصين خرجوا من المدينة في أزيد من مائتي دونج والدونج اكبر من الزورق وفي إنشائه وطاء يقطعها التجار اقساما في كل دونج منها خمسة أقسام وسته وكل تاجر منهم لا يتعدى قسمه من المراكب وكل غواص له صاحب يتعاون به في عمله وأجرته على خدمته اقل من أجرة الغطاس ويسمى هذا المعاون المصفي ([4]).

ويخرج الغواصون من هذه المدينة وهم جملة في وقت خروجهم ومعهم دليل ماهر ولهم مواضع يعرفونها عيانا بوجودهم صدف اللؤلؤ فيها لان للصدف مراعي تجول فيها وتنتقل إليها وتخرج عنها في وقت أخر إلى أمكنة أخر معلومة بأعيانها فإذا خرج الغواصون عن أوال تقدمهم الدليل والغواصون خلفه في مراكبهم صفوفا لا تتعدى جريه ولأتخرج عن طريقه فكلما مر الدليل بموضع من تلك المواضع التي يصاد بها صدف اللؤلؤ تنحى عن ثيابه وغطس في البحر ونظر فان وجد ما يرضيه خرج وأمر بحط قلاع دونجه وارسى وحطت جميع المراكب حوله وأرست وانتدب كل غواص إلى غوصه وهذه المواضع يكون عمق الماء فيها من ثلاث قيم إلى قامتين فدونهما ([5]).

---

(1) ناصر خسر وعلوي (ت481 هـ سفرنامة ، ترجمة يحيى النجار ، ط1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1364هـ / 1945م ، ص144.
(2) المصدر نفسه ،ص93.
(3) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفارالمسماة رحلة ابن بطوطة ، تحقيق د على المنتصر الكتاني،ج2، ط2، بيروت ،1405،ج1،ص305.
(4) المصدر نفسه ، ج1، ص300.
(5) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ، ج1، ص300.

وصفة غوصهم إن الغواص يتجرد عن ثيابه ويبقى بسترة تستر عورته لأغير ويضع في انفه الحلنجل وهو شمع مذاب بدهن الشيرج يسد به انفه ويأخذ مع نفسه سكينا ومشنة يجمع فيها ما يجده هنالك من الصدف ومع كل غواص منهم حجر وزنه من ربع قنطار إلى مانحوه مربوط بحبل رقيق وثيق فيدليه في الماء مع جنب الدونج ويمسك الحبل صاحبه بيده إمساكا وثيقا ([1]).

ويتخلى الغواص بنفسه في الماء فيجعل رجليه على الحجر ويمسك الحبل بيديه ثم يرسل صاحبه الحبل من يده دفعة واحدة فينزل الحجر مسرعا حتى يصل قاع البحر والغائص غليه بمسك الحبل بيديه فإذا استقر في قاع البحر نزل إلى قاع البحر وجلس وفتح عينيه في الماء ونظر إلى إمامه وجمع ما وجد هناك من الصدف في عجل وكر فان امتلأت مشنته كان وإلا اندرج إلى ما قاربه والحجر لا يفارقه ولا يترك يده عن إمساك خبله فان أدركه الغم كثيرا صعد مع الحبل إلى وجه الماء واسترد نفسه حتى يستريح ويرجع إلى غوصه وطلبه فإذا امتلأت مشنته اجتذبها صاحبه من أعلى الدونج وفرغ المشنة مما فيها من الصدف في قسمه من المراكب وأعادها في البحر إلى الغواص أن كان الصدف هناك كثير وعلى قدر الوجود له يكون طلبه فإذا تم الغواصون في البحر مقدار ساعتين صعدوا ولبسوا ثيابهم وتدثروا وناموا وانتدب المفي وهو صاحب الغواص فيشق ما معه من الصدف والتاجر ينظر إليه حتى يأتي على أخره فيأخذه التاجر منه وصره عند نفسه بعدد مكتوب فإذا كان عند العصر انتدبوا إلى طعامهم فصنعوه وتعشوا وناموا ليلتهم إلى الصباح ثم يقومون وينظرون في أغذية يأكلونها إلى أن يحين وقت الغوص فيتجردون ويغوصون ([2]).

هكذا كل يوم وكلما فرغوا من مكان افنوا صدفه انتقلوا إلى غيره ولا يزالون بهذه الحال إلى أخر اوغست ثم ينصرفون إلى جزيرة أوال في الجمع الذي خرجوا فم وما معهم من الجواهر في صررهم وعلى كل صرة منها مكتوب اسم صاحبها وهي مطبوعة بطابع فإذا نزلوا أخذت تلك الصرر من التجار وصارت في قبض الوالي وفي ذمته فإذا كان في يوم البيع اجتمع التجار في موضع البيع فاخذ كل واحد مكانه واحضرت الصرر ودعي باسم كل واحد من أصحابها وفضت خواتمها واحدة وصب ما في الصرة من لؤلؤ في غربال موضوع تحته ثلاثة غرابيل وتلك الغرابيل لها أعين بمقادير ينزل منها الدقيق والمتوسط ويمسك كل نوع منها في صحن غربال فلا يبقى على وجه الغربال الأول الأعلى ألا ما غلظ من الجوهر ويبقى على وجه الغربال الثاني اللؤلؤ المتوسط ويستقر على الغربال الثالث اللؤلؤ الدقيق ثم يعزل كل صنف منها وينادي عليه باسوامه ومستحق اثمانه ([3]).

فان أحب التاجر سلعته كتبت عليه وان شاء بيعها من غيره باع وقبض ماله والتاجر إذا اشترى متاعه إنما يكون عليه أن يؤدي اللوازم التي وجبت عليه وينتصف التجار من الغواصين والغواصون من التجار وينفصل كل احد من كل احد وينصرف الناس ثم يعودون إلى هناك في العام المقبل وهكذا أبدا .

ولصاحب الجزيرة على التجار الذين يعاملون الغواصين شيء معلوم يقبض له في ديوان البيع منهم ويبعث إليه بذلك ضريبة وما وجد في الجوهر الغالي النفيس امسكه الوالي وكتبه على نفسه باسم أمير المؤمنين والعدل لايفا رقهم في البيع والشراء حتى لا يضام احد ولا يشكوا ظلما . ، وبعد إن يحصل السلطان على خمس الكمية اللؤلؤ المستخرج وهو نصيبه الخاص ، ويقوم التجار بشراء الكمية الباقية منه لكي يصدروه بدورهم إلى الهند والصين والقليل منه إلى الدولة الرومانية وبلاد الشام ومصر .

وكان أهل الصين لا يفضلون إي نوع من اللؤلؤ غلا اللؤلؤ المستخرج من الخليج ([4]) .

والجوهر يتكون حبه خلقا في هذه الصدف على ما يصفه البحارة من ماء مطر نيسان وان لم يمطر مطر نيسان لم يجد الغواصون منه شيئا في سنتهم تلك وهذا عندهم شيء معلوم ومشهور صحيح متفق عليه بينهم .

والغوص صنعة تتعلم وينفق عليها الأموال في تعليمها وذلك انهم يتدربون في رد أنفاسهم على أذانهم حتى إن الرجل منهم في أول تعليمه تتزكم اذناه وتتسلط وتسيل منها المادة ثم يتعالجون من ذلك فيبرؤون منه واعلاهم

(1) المصدر نفسه ، ج1، ص300.
(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ، ج1، ج1، ص301.
(3) المصدر نفسه ، ج1، ص301.
(4) ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ،ج1ص279.

اجرة واصبرهم تحت الماء وكل واحد منهم يميز صاحبه ولا يتعدى طوره ولا ينكر فضل من تقدمه وفاقة المعرفة والصبر ([1]) .

9. ملاحظات بنيامين التطيلي الاقتصادية عن البحرين

وصف التطيلي البحرين عندما زارها في فترة ازدهارها ([2]) وهو اول أوربي يزورها([3]) وقدم لنا التطيلي ملاحظات قيمة عن البحرين وعن التجار الراذانية وهم مجموعة من التجار يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلية ، وإنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشر ق برا وبحرا يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والغراء والسمور والسيوف... ثم يحضرون بحرا إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدا رصين وغير ذلك والذي يهمنا في وصف التطيلي أن البحرين كانت ضمن نشاط التجار الراذانية ([4]).
مما يدلل على ثراء منطقة البحرين وما كان يرتفع منها من الأموال وبالمقارنة بين ما أورده.

بينامين التطيلي وبين ما ورد في بعض المصادر الإسلامية نجد بعض الاختلافات مع وجود اتفاق في معلومات بنيامين والمعلومات الواردة في المصادر الإسلامية فبرغم من تصويره هؤلاء التجار في المراكز التجارية العربية ألانه ومن المرجع إن هؤلاء التجار الذين وصفهم بينامين التطيلي
من اليهود كانوا يبعثون تجارتهم ويشترون بدلا ما يريدونه من تجاران موجودة في مراكز التجارة العربية الإسلامية التي كانت بمثابة مستودعات او مخازن كبيرة لبضائع وسلع الهند والصين وغيرها من بلدان الشرق الأقصى الموجودة في الابلة وهرمز والبحرين حتى لا يتحملوا كثرة التكاليف ومشقة السفر في تنقلاتهم وسفرهم بالبحر في سفن عربية إسلامية . وان سفنهم كانت تأتي بهم فقط أما إلى الفرما وإما إلى إنطاكية ([5]) .
أن تقديم بنيامين التطيلي هذا الوصف لمؤهلات التجار كان ينطلق من نظرة يراد منها لفت الأنظار إلى هؤلاء التجار ([6]). وكان من الطبيعي تحت ظروف المنافسة التجارية أن لا يستمر هؤلاء التجار اليهود في مزاولة تجارتهم ، فقد تمكن التجار العرب من بسط سيطرتهم التجارية على حوض البحر ألا بيض المتوسط في القرن الثالث والرابع والخامس الهجريين فكسدت تجارة اليهود في هذه المنطقة واسقروا بحوض نهر الرون واصبحنا لا نجد لهم في هذا العصر وما يليه في العصور الوسطى شان يذكر لان انتشار التجارة العر بية ونموها من خلال المراكز التجارية المتمثلة في البحرين ، فقد اخرج التجار إلا جانب من البحار التي سيطرت عليها سفن التجارة العربية الإسلامية لان أوربا لم يكن لها في ذلك الوقت أي سلطان على البحر المتوسط الذي أطلق عليه لفظ البحر العربي ([7]) .
أن الأهمية التجارية وازدهار النشاط التجاري وتبادل السلع ووفرة الأقوات التي أشار إليها بنيامين نجد تأكيد لها عند ابن حوقل حيث يقول عن البحرين ((وأما البحرين ومدنها وهي هجر والإحساء والقطيف وبيشة والخراج وأوال وهي جزيرة كان لابي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم إلى وقتنا هذا هي لمخالفيهما ونسلهما ..... وبها أموال وعشور ووجوه ومرافق ومراصد وضروب مرسومة

(1) المصدر نفسه ،ص279.
(2) Wilson, the Persian Gulf London.1980 pp,105
(3) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ،1962،ص234، احمد الشامي ، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق آلا قصى واثر ذلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى ،مجلة المؤرخ العدد14 ، 1980 ، ص91
(4) الشامي ، العلاقات التجارية ،ص92
(5)Wilson, the Persian Gulf London.1980 pp,105 .
(6) متز ، ادم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تحقيق محمد عبد الهادي ابو ريده ،دار الكتاب العربي ، بيروت ،ب ت.
(7) المصدر نفسه، ،ص372.
(8) المصدر نفسه ، ص372.

من الكلف إلى ما يصل إليهم من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة بعد إقطاع بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخيل ([1]) . وهنا نرى ثروة منطقة البحرين الزراعية وأهمية جزيرة اوال (البحرين اليوم) كمركز تجاري .

أما بخصوص عدم وجود الزراعة في البحرين والذي ذكره بنيامين التطيلي فانه يخالف ما ذكرته المصادر الإسلامية ، يقول ابن خرداذبة (فيها نخل وزروع وماشية ولها غوص اللؤلؤ الجيد ([2]) .

وكذلك أشار ياقوت الحموي إلى البحرين أنها ذات بساتين([3])كما أكد ابن المجاور ان في البحرين بساتين النخل([4]) أما أبو الفدا فيقول إن زراعة النخيل على الجزيرة كانت محدثة([5])وفي بدايات هذا القرن يؤكد لوريمر لوريمر إن في الجزيرة زراعة النخيل والقمح والشعير والبطيخ وأنواع من الخضروات كالبصل مثلا والتي تسقى من مياه الابار([6]). ولا نعلم بالتحديد سبب هذا الاختلاف في وصف الوضع الزراعي في البحرين بين بنيامين التطيلي وغيره من المصادر وربما يعود ذلك إلى كونه لم يبق في البحرين ألا وقتا قصيرا جدا ، لم يسمح له بالتجوال في أنحائها واستكشافها . ولقد ورد في وصف بنيامين للبحرين أن أطولها يبلغ حوالي ستة أميال بينما يحدد لوريمر طولها بحوالي عشرة أميال وهذا الاختلاف في التحديد ليس كبيرا وربما يعود إلى اختلاف المقاييس ، ولمسافات بين القرن الثاني عشر والقرن العشرين أو ربما يعود ذلك إلى عدم امتلاك بنيامين لوسائل القياسات الدقيقة ([7]).

صناعة السفن عند أهل البحرين كما وصفهم بنيامين

لقد قدم لنا بنيامين التطيلي وصفا دقيقا عن صناعة السفن عند أهل البحرين ، فقال ((وأهل البحرين خبراء ممتازون في صناعة السفن ، ذاع صيتهم في البحار لمهارتهم الملاحية وشجاعتهم أمام العواصف والأنواء)) ([8]). أن هذا الوصف الدقيق لأهل البحرين يتفق مع ما اوردته المصادر الإسلامية . واستمر بنيامين في وصفه أشرعة السفن التي تصنع في البحرين حيث يقول أن شهرتهم في صناعة السفن هي لأتقل شهرة عن صيتهم في صيد اللؤلؤ والمرجان([9]).

ويستمر بنيامين في وصف السفن حيث يقول أنها تبنى بألواح من خشب (الساج) ثم يصف الألواح التي تثقب ثقوبا ضيقة وتشد إلى بعضها البعض على جانب الهيكل بواسطة حبال مكونة من شعر جوز الهند (النار جيل) وكانت هذه الاحزام تدس بكوابل من الخشب عوضا عن المسامير التي لم يستعملها أهل الخليج في بناء السفن خشية أن تنجذب إلى جبال المغناطيس الموجودة في بحر الصين أو بحجة أن المسامير تصدا وتسبب تلفا ([10]) .

أن الاهتمام في صناعة السفن كما أوردها التطيلي تأتي من البحرين قد عرفت بركوب البحر حيث كان للبحرين وهجر سفنها وتجارتها الداخلية مع مدن الخليج والخارجية مع بلدان الشرق الأقصى أو شرق أفريقيا

القطيف كما وصفها بنيامين التطيلي

قبل أن ندخل في وصف بنيامين لهذه المدينة لابد من لمحة تاريخية لها أتماما للفائدة ، هي مدينة من أهم مدن البحرين كما يطلق هذا الاسم على واحة من أعظم واحات شبه جزيرة العرب ، وتقع على الساحل الشمالي الشرقي شمالي العقير وشمالي شرق الهفوف ([11]) تحدها الصحراء من الشمال والشرق بينما يحدها من الشمال

(1) ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص33.
(2) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ،ص60.
(3) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص479.
(4) ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، تاريخ المستبصر ,ص287.
(5) أبو الفداء ، تقويم البلدان ،ص373.
(6) المصدر نفسه ، ص139.
(7) lorimer,g.,op.cit,vol.2a,576.
(8) عزار حداد ، رحلة بنيامين التطيلي ، بغداد ،1945 م ، ص139.
(9) lorimer,g.,op.cit,vol.2a,576.
(10) أبو الفداء ، تقويم البلدان ص139.
(11) المصدر نفسه ، ص139.

برا الظهران ([1]) وطول الواحة من الشمال إلى الجنوب 22كم ،وواحة القطيف مشهورة بحدائقها وبساتين النخيل النخيل والفواكه والخضروات ، كذلك بوفرة المياه العذبة ([2]).

ولقد أشار عدد من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين إلى القطيف على أنها مدينة عظيمة وميناء مهم دائم الحركة وان بها مغاطس اللؤلؤ([3]).

وكانت القطيف مركزا تجاريا مهما في منطقة الخليج العربي وكانت لها علاقات تجارية قوية مع المناطق المجاورة لها ، وقد أطلق اسم القطيف على ما يقابلها من مياه الخليج فكان يسمى أحيانا ببحر خليج القطيف ([4]) ويشترك ابن الحائك الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب بوصف البحرين ومدينة القطيف فيقول عنها أنها سوق بني محارب من عبد القيس ومنازلها وما دار بها من قرى البحرين ، فالقطيف موضع نخل وقرية عظمية الشأن وهي ساحل ([5]).

إما بنيامين التطيلي فقد أشار إليها بقوله :قطيفا([6]) (القطيف) وفيها بعض من اليهود، وفيها أيضا مغاصات الجوهر المعروف بالدر ، وفي حوالي الرابع والعشرين من شهر نيسان (ابريل)تتساقط قطرات المطر الكبيرة على سطح الماء تبلغها زواحف (حيوانات) او محار وينطبق عليها ويغوص في قعر البحر وفي حوالي منتصف تشرين يحضر الغواصين فيربطون اصدقائهم الحبال، ثم يغوصون في الماء ، طلبا لهذه الزواحف (الحيوانات) أو محاور يخرجونه ويفتحونه فيجدون الدر في جوفه ([7]) يغلب على هذا النص التشويش والغموض وجهل بنيامين بشكل اللآلئ من الأهداف وهذه الفكرة مشوشة أيضا وردت عند عدد من الكتاب المسلمين الذين ذكروا إن حيوانا صغير الحجم يخرج من قاع البحر إلى السطح في أول الربيع ، فإذا هطلت الأمطار فانه يلتقط قطرات المطر ويخزنها بداخله ثم يعود إلى قاع البحر وبعد مدة ينضح هذا الماء وينعقد متحولا إلى لؤلؤ([8]).

ولكن هذا الاعتقاد لا يتفق مع ما اورده العلم الحديث عن كيفية تكون اللؤلؤ ، أما طريقة استخراج اللؤلؤ كما وصفها الرحالة ، إذ اتبع أهل المنطقة هذه الطريقة حتى عصور ما قبل النفط ، إذ يقوم الغواص عن طريق التعلق بحبل الغوص إلى عمق البحر وقد أشار عدد من الكتاب إلى طريقة الغوص ([9]).

أن فترة زيارة بنيامين للمدينة القطيف تحت حكم العيونين (466 - 636 هـ)حيث كانت عاصمة للإمارة العيونية ([10]) .

الخاتمة

في خاتمة البحث ندرج النتائج التالية :

1. كان الرحالة قد قدموا إلى البحرين معلومات تاريخية وجغرافية عنها وفسروا تسميتها لغويا وتاريخيا
2. قدم البلديون تفسيرات جغرافية ولغوية للبحرين ووصفوها وصفا جغرافيا دقيقا انطلاقا من المنهج الوصفي والتاريخي للبلدان .

(1) محمد ر ضا كحالة ، جغرافية جزيرة العرب ، القاهرة ، 1944 ، ص276.
(2) محمد سعيد المسلم ، ساحل الذهب ألا سود ، بيروت ، بلا ، ص20 ،23 ، 27.
(3) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص429 ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص97 - 98.
(4) عبد العال الشامي ، إقليم العروض في كتابات الجغرافيين العرب ، الكويت ، 1983 ، ص79 .
(5) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الاكوع ، بيروت ، 1983 ، ص279.
(6) وردت هذه اللفظة عند الرحالة البرتغالي يبدرو تخسيرا ، انظر رحلته the travel of Pedro teixeira,trans;w.f.sinclair,London.1902,P2
(7) رحلة بنيامين التطيلي ، ص137 .
(8) احمد الطوخي ،شرقي شبه الجزيرة العربية في العصور الوسطى في كتابات الرحالة المسلمين(الدوحة ،1990)ص61 ، التوم الطالب محمد يوسف ، تاريخ الخليج الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى أواخر القرن الرابع الهجري ، (دبي ، 1985) ص238.
(9) عبد العال الشامي ، إقليم العروض، ص116.
(10) ينتسب العيونيون إلى آل إبراهيم احد أفخاذ عبد القيس كانوا يسكنون الإحساء في واحة تعرف بالعيون نسبوا إليها ، أسس هذه الأمارة عبد الله بن علي بن إبراهيم عام 466 هـ .

3. يصف ابن خرداذبة الطريق البحري إلى مدينة البحرين، لقد كانت البحرين منطقة غنية ومما يدل على ثراء المنطقة ما كان يرتفع فيها من أموال.
4. لقد وصف ابن حوقل البحرين وطريقه بشكل حيث قال ، وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم.
5. يصف المقدسي البحرين واهم مدنها هجر فيقول عن هجر أن قصبتها الإحساء ومدنها سابور والزرقاء وأوال والعقير.
6. لقد وصف المسعودي بحر الهند ،وهو البحر الذي نسميه اليوم المحيط الهندي وذكر الخلجان والبحار المتفرعة منه وهي الخلجان المرتبطة بمدن أخرى.
7. أن الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، يصف لنا الطريق إلى البحرين ويقول من مدينة صحار إلى مدينة بلاد البحرين نحو من عشرين مرحلة.
8. يصف ابن بطوطة البحرين وطريقه اليهامن البحرين إلى جدة ثم إلى اللاذقية.
9. وصف التطيلي البحرين عندما زارها في فترة ازدهارها وهو أول أوربي يزورها وقدم لنا التطيلي ملاحظات قيمة عن البحرين وعن التجار الراذانية.

المصادر والمراجع

(1) جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، بيروت ،1977.
(2) ابن رسته ، أبي علي احمد بن عمر (ت290هـ،902م)الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، ليدن ،1891م .
(3) ابن الفقيه ، أبي بكر احمد بن محمد الهمذاني (ت 365هـ ،975م) مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل ، ليدن 1885.
(4) سعد زغلول عبدا لحميد البحرين وقطر الأصول القديمة للمسميات الحديثة في المكتبة الجغرافية العربية ، ندوة لجنة تدوين قطر ، 1976 .
(5) أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت732هـ ،1331م) تقويم البلدان ،اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان ،مطبعة دار الطباعة السلطاني (باريس ،1840م)
(6) ، ،شيخ الربوة ،شمس الدين أبي عبدالله بن أبي طالب الدمشقي(ت،727هـ ،1326م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ،بطرسيوغ ،1865م .
(7) ، ابن حوقل ، أبي القاسم النصيبي (ت،367هـ،977م) صورة الأرض ، ليدن 1938 .
(8) الاصطخري ، أبي اسحق إبراهيم بن محمد (ت346هـ ،957م)مسالك الممالك،مطبعة كتبخانه (صور ،بلا ،تاريخ) .
(9) ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، تاريخ المستبصر ، تحقيق اوسكر لوفثيرين ، بيروت ، 1986.
(10) البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (487هـ) معجم ماستعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق مصطفى السقا ،ج،1 القاهرة ، 1945.
(11) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ألعمري ،ج1 .
(12) البلاذري ، فتوح البلدان ، ط، القاهرة ، 1901.
(13) ياقوت الحموي ،شهاب الدين أبي عبدالله البغدادي (ت 626هـ ،1228م) معجم البلدان ،مطبعة دار صادر ج1،(بيروت ،1975م .
(14) ابن خرداذبة ، أبي القاسم عبدالله بن عبدالله (ت 300هـ،912م) ، المسالك والممالك ، (ليدن،1889).
(15)) قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت،328هـ،939م)،كتاب الخراج وصناعة الكتابة (ليدن ، 1889م).

(16)) المقدسي ، محمد بن احمد المعروف بالبشاري (ت375هـ،985م)أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (ليدن ، 1906) .
(17) المسعودي ،أبي الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ،957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ج1 (القاهرة ، 1964).
(18) محمد رارس قلعجي ،وحامد صادق ،معجم لغة الفقهاء ،طبعة دار النفائس (بيروت ،1988)
(19) الإدريسي ،أبي عبدالله بن إدريس (ت 560هـ،1164م) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، (ليدن ، 1871).
(20) لهمداني شمس الدين أبو عبدا لله الانصاري (ت727هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد على الاكوع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، 1394هـ / 1974م.
(21) القز ويني ، زكريا بن محمد (ت،682هـ ، 1283م)،أثار البلاد وإخبار العباد ،مطبعة دار صادر ،(بيروت ،1960م).
(22) المنجم اسحق بن حسين (تفي القرن الخامس) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، طبعة اوفسيت ، بلا مكان ، وبلا تاريخ .
(23) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، ج2 ، ق1 طبع ادور د سخاو ، مطبعة بريل ، ليدن 1324 هـ .
(24) ناصر خسر وعلوي (ت481 هـ سفرنامة ، ترجمة يحى النجار ، ط1 ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1364هـ / 1945م .
(25) (ابن بطوطة) محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار المسماة رحلة ابن بطوطة ، تحقيق د على المنتصر الكتاني،ج2، ط2، بيروت ،1405،
(26) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ،1962،
(27) احمد الشامي ، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق آلا قصى واثر ذلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى ،مجلة المؤرخ العدد14 ، 1980 ،
(28) Wilson, the Persian Gulf London.1980.
(29) متز ، ادم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تحقيق محمد عبد الهادي ابو ريده ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، بلا تاريخ.
(30) عزار حداد ، رحلة بنيامين التطيلي ، بغداد ،1945 م.
(31) محمد ر ضا كحالة ، جغرافية جزيرة العرب ، القاهرة ، 1944 .
(32) محمد سعيد المسلم ، ساحل الذهب ألا سود ، بيروت ، بلا تاريخ.
(33) عبد العال الشامي ، إقليم العروض في كتابات الجغرافيين العرب ، الكويت ، 1983 ،
(34) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الاكوع ، بيروت ، 1983 ،
(35) The travel of Pedro teixeira,trans;w.f.sinclair,London.1902,P2.
(36) احمد الطوخي ،شرقي شبه الجزيرة العربية في العصور الوسطى في كتابات الرحالة المسلمين(الدوحة ،1990).
(37) التوم الطالب محمد يوسف ، تاريخ الخليج الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى أواخر القرن الرابع الهجري ، (دبي ، 1985) .